عالم مُتقن مُحقّق لكثير من الفنون، منصفٌ منقادٌ إلى الحَقِّ، مُتعفِّفٌ وَرِع. (ومات) في جمادى الأولى سنة ٨٨٥ خمسٍ وثمانين وثمانمائة.

(٣١١)

(عَليُّ بن صَالح العماريّ ثم الصَّنعانيّ)

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خسمين ومائة وألف، أو قبلها بيسير، أو بعدها بيسير، وقرأ على علماء عصره في كثيرٍ من الفنون، وبرع في علوم الأدب، وشارك في التفسير والحديث مشاركةً قويةً، وتفرّد بمعرفة فنونٍ كعلم الهيئة والهندسة والنجوم، وكتبَ الخطَّ الفائق، ونظم الشعرَ الحسن، وهو متفرّد بكثيرٍ من المحاسن، قليل النظير في مجموعه، ذكيٌّ قويُّ الإدراك، بديع التصوُّر، ضخم الرياسة، جيد التدبير. اتصل أول أمره بمولانا الإمام المهدي العبَّاس بن الحُسَيْن رحمه اللَّه، وولَّاه أعمالاً، وصار بعد ذلك أحد وزرائه. وكان يميل إليه ويُؤثره لما لديه من الفضائل. ثم انحرف عنه قليلاً، ثم عاد إلى ما كان عليه. وعزم قبل موته على تفويض الوزارة إليه فمات، وبُويع مولانا خليفة العصر المنصور باللَّه حفظه اللَّه فولَّاه بندر المخا، وهو أكبر ولاية في القطر اليمني، وبقي هنالك نحو خمس سنين، وشكر الناس ولايته، وحسن تدبيره، وهو مع ذلك مورد لأهل العلم والفضائل، ويأخذ عن كلّ من رأى لديه علماً لا يعرفه ويستفيده في أسرع مدة. ثم عاد من المخا إلى صنعاء وقد جمع دنيا عريضة. وكان يتصل بالخليفة حفظه اللَّه في كثير من الأوقات، فحسده جماعة من الوزراء فأبعدوه. ثمّ بعد أيام فوَّض إليه مولانا الإمام وساطة بعض مدائن اليمن والمشارقة على بعض أملاكه، فصار من جملة الوزراء، واجتمعت به في مقام مولانا الخليفة مرَّاتٍ عديدة. وكان يذاكر هنالك بمسائل مفيدة، وآخر ما سألني عنه قبل موته عن كلام المفترين في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥] وأورد في السؤال اعتراضات على الزَّمخشري، والسعد، وأجبتُ عنه برسالة سمَّيتها (جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل). وبالجملة فهو متفرد بمواد كتابة الإنشاء، وما يحتاج إليه من علوم الأدب وغيرها، مع جودة النظم والنثر إلى غاية، والاقتدار من ذلك على ما لم يقتدر عليه غيره. ولعمري إنه يفضل كثيراً من الأفاضل المتقدمين المتفردين بالبلاغة لما له من دقة الذهن وممارسة العلوم الدقيقة وحسن الخط على حدٍّ يقصر عنه الوصف والقدرة على إخراج كثير من الصنائع من القوة إلى الفعل. وله من ذلك ما ينبهر له من يعرف الحقيقة. وسأذكر من أدلة تَفرُّده وصدق ما شرحته في حقّه ما لا يستطيع المُنكِر إنكاره ليعلم المطلع على ذلك أنه فوق ما وصفته، بل هو ممن يفتخر به العصر على ما تقدمه من العصور، ويكفي في تصحيح هذه الدعوى ذكر النظم

والنثر الذي كتبه إلى الإمام المهدي يستعطفه به في سنة (١١٧٩) وقد اشتملت كل فقرة من فقر النثر على تاريخ هذه السنة، وكل بيت من بيوت النظم على تاريخين. كذلك في الصدر تاريخ وفي العجز تاريخ، مع سلاسة النظم والنثر، وعدم التكلف، وهذا شيء لا تبلغ إليه قرائح أهل العصر، بل لا يظن اقتدار أهل العصور المتقدمة عليه وإن قدر عليه فَرْدٌ من الأفراد جاء به في كلام مُعقّد متكلّف، قد رُوعيت فيه الألفاظ وهُجّرت المعاني. وهذه الألفاظ التي أشرنا إليها: يقول أفقر عباد الإله عليّ العماري، عمّته مكارم الحليم الباري: بحمد اللَّه أستهل الإنشاء كما بدا وجه الهلال. وبجدِّي أشكره في البكر والآصال، جلّ جلاله عن مشاركة له في ملكه وعن ندّ. ينشئ السحاب الثقال بمدّ، ويمتنُّ تعالى دائماً أبداً بلا عدّ. وصلاته وسلامه الأكملان أبداً على سيدنا مُحمّد، وآله ما غاب هلال وجدّد، ونادى المهدي مُهنِّى بلسانه واستشهد: [من الطويل]

مَليكَ الوَرَى لا زِلْتَ في قائم العُلى هِلالاً مُنيراً مُشرقاً قائماً بَاهي
لا زِلْتَ في نِعَم توالى، وبها نصرٌ من الربِّ تَعالى.

وَتُبدئ للدنيا سُروراً وأَنعماً فَدُمْتَ لنا ركنَ الهُدى آمراً ناهي

فلا برحت في عيش جديد. نائلاً بجد ما تهوى وتريد. لك فوز الأجر في الشهر السعيد. مبشراً بنيل رجواك به من العزيز الحميد.

تَقدَّم شهرُ الصَّومِ بالفوزِ مُعلناً وَطَيبُ الثَّنا وافاكَ من طِيبهِ الشَّاهي

عَزَّ ذو الجلال والإكرام. مَدّ لك الأجر بهذا العام. وبهذا هُنِّئت، وحُزْتَ به ما شِئْت.

وفي كلّ عامٍ نِلْتَ أجراً لِرَبِّه وما بتّ عَنْ شُكْرٍ بِجدٍّ له لَاهي

زادك رب الخلق بجودٍ مما أولى. وبوَّأك بحدِّ الشرف الرفيع الأعلى، وولّاك رقاب الخلق أبداً وأولى. فنعم ما أولاك تعالى وجهاً ونعم المولى.

وَدُونكَ قَولاً لِلمُحبّ مؤرخ على كلّ شَطْرٍ ليسَ شَين ولا لَاهي

ولما أَرَّخ به كل سجعة. زيد تمنعاً على من رام منعه. فلهذا جاءه محكم الصنعة. وأعجز فيها من يروم تأليفه وجمعه.

يُنبيكَ لمَّا جَا بحالي مُذْكِراً وما صِرْتَ عنّي بَعْد طُول الجَفا سَاهي

عجب فهمك الشريف يفهم لمقالي. لستَ بالساهي عن أمري فأنبهك لحالي. فكمال عافيتك من ربّي هو جلّ مالي. ولئن بقيت بها كملت آمالي:

وَدُمْ صاعداً في المجدِ أشرفَ مَقْعَدٍ على حُسْنِ عَيْشٍ نَوْرُه مُنورٌ زَاهي

آمنا به سالماً من حدوث ريب الزمن. محجوباً عن بوادي الفتن، وشوائب حبك الإحن. فأكثر حمداً للّه تصلح به كل نية، واشكر به دائماً في السرّ والعلانية.

فَـهـذا هـلالُ الـصَّـومِ وَافـى هِـلالُـهُ بِـمَـبْـدأ عُـمـرٍ دَهْـرُه لَـيْـسَ مُـتـنـاهـي

فاستأنف الآن عزًّا بدا وعُمْراً جديداً. وعشْ بدوام نعيم سعد عيشاً حميداً. وأخلق بدوام أيامه ولياليه عيداً فعيداً. فتهنَّ أجراً بهِ دائماً وعمراً مديداً.

تَـهـنَّ بـمـا أعـطـيـتَ فـيـهِ مُـهـنَّـأً هُـو الـخـيـرُ بـالإقـبـالِ والـعـزِّ والـجـاهِ

وأنجز وتم ما كتب بالقلم. وما أبدعه مداده ونظم. وانقضى بجيد المقال. وبعد أن بشر بالنصر والإقبال.

وَقـدْ جـاءَ نـصـرُ الـلَّـه بـالـفـتـحِ قَـابِـلاً وتَـبَّـتْ لـهـا الأعـداء فَـالـحـمـدُ لـلَّـهِ

أسأل من ربنا تعالى بأن يحسن إليك. بإتمام نعمته عليك. ويخوّلك بكرمه ويجود مهنياً بما لديك. ويحوطك بأمنه من خلفك ومن بين يديك.

وحساب هذه الفقرة ومصاريع الأبيات وافٍ ولا نقص في شيء منه إلَّا في موضع واحد، فإنه نقص منه واحد فقط، فمن ظنّ أن ثمة نقصاً في غير ذلك فهو إما لتصحيف من الظانّ أو تحريف. ومَنْ تأمل هذه القطعة بعين الحقيقة علم مقدار مُنْشِئها ومرتبته في الفضل. وبعض الأبيات والفقر وإن كان يظن بعض من لم يمارس علوم الإعراب أن فيه لحناً فما ذلك إلَّا من قصور باعه، فإن لِكُلٍّ من ذلك وجهاً وجيهاً في العربية. ثم لما أراد الحجّ كتب إلى الإمام المهدي هذا النظم والنثر مودعاً له ومستعطفاً، ولفظه:

بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم، ونحمده تعالى، وإن نطق القلم بالتشبيب. وعنى عن الغرض البعيد بالقريب. فقصده مناسبة القصد لا النسيب. فلهذا صرخ بالاستهلال، وصرّح بالخفي فقال: [من الوافر]

أَجُـرْمٌ مـا يُـقـالُ لـهُ عِـثـارُ وذنـبٌ لا يـكـونُ لـه اغْـتِـفـارُ[1]

وَهَـلْ يـسـتـوجـبُ الـتـعـذيـبَ طَـرفٌ جَـرَى مـنـهُ انـهـمـالٌ وانـهـمـارُ[2]

وقَـلْـبٌ لا يـفـيـقُ عـن الـتّـصـابـي وَلا يـنـهـاهُ ضَـعْـفٌ وانـكـسـارُ

بـه ظـبـيٌ لـهُ الـجـوزاءُ قِـرْطٌ مَـلـيـحٌ والـهـلالُ لـه سِـوارُ

لـه مـالـي بـلا مَـنٍّ وَرُوحـي وَلـي مـنـهُ الـمـلالـةُ والـنّـفـارُ[3]

---

(١) الجُرْمُ: الجناية، الذنب. العِثارُ: الزَّلَلُ؛ وأقال اللّه عثرته: تجاوز عن زَلَلِه.

(٢) الانهمال والانهمار: الانصباب والسيلان الشديد.

(٣) المَلالَةُ: السَّأمُ والضَّجَرُ. النِّفارُ: الصَّدُّ والإعراض.

جرح فؤادي بأسياف العيون. وضعف قلبي بسهام الجفون. ولما صحّ له عن القلب حديث الهوى. وروت له الجفون على الطرف مَراسيل النوى. وعلم الدهر أن قلبي موثقٌ في يديه. وموصولُ دمعي موقوفٌ عليه. علّل بالجفاء ذلك الوصال. فقال عنه بلسان الحال:

سَقَى دَهْراً نَعِمْنا فيه عَيْشاً وأياماً لَيالِيها قِصَارُ
وَمَرّ كأنّه أضغاثُ نَوْمٍ فما عِنْدي لِمَاضيه ادّكَارُ

أنساني معرفة تنكير الزمن. لما نَصَبتْ صُروفهُ على الحال خيام المحن. ولما ولع بخفض عيش المرفوع. أهملت كلام العاذل الموضوع، وصرفته عن الإغراء فهو الممنوع. وقلت مبيناً ما كفاه من اتباع العذل عن المتبوع. وأغناه عن المثنى من الملام والمجموع.

أعاذلُ قَدْ كفاكَ العَذْلَ دهرٌ وَقام بما جَناهُ الاغترارُ
تلومُ فتًى أصابتهُ الرّزايا وَفارقَهُ الشبابُ المُستعارُ
أبعدَ الخمسِ والعشرينَ يَصْبو لَعَمْرُ أبيكَ هذا الاغترارُ[1]

ذهب عنه تصريف الهوى ومعناه. وانقلبت عينه غيناً فتغيَّر مبناه. جرد الوقار زيادته بتخفيفه. وأسقط الزمان تعديه بتضعيفه، وغير أصوله بالتصغير من أصله. حتى أنساني بذكر صحيحه ولفيفه ومعتله.

ولم أنسَ التي قامتْ لِعَزْمي تُودعني وأدمعُها غِزارُ
تَخوّفني نوًى عَرضَتْ وطَالتْ وَتَخْشَى أن يكونَ فَلا مَزارُ
تَقولُ وقد أجدَّ البينُ مَهْلاً بِنَفْسِكَ لا يشقُّ بكَ البدارُ[2]
وَلم تَكْسبْ يداكَ سِوَى ثناءٍ فَلَيْسَ عَلَيْكَ مَهْما كُنتَ عارُ
وما لَطَّخْتَ عِرْضَكَ بالدَّنايا ولا دارتْ على فِيكَ العُقارُ[3]
سَواءٌ والإقامةُ مِنْكَ عَزْمٌ وسِيّانَ الخَفا والاشتهارُ
ومَنْ شَرُفَتْ لهُ نَفْسٌ وعِرْضٌ فَأَنَّى كانَ، كانَ لهُ افتخارُ

تكلمت بمنطق غير ممنوع. تساوى به المحمول والموضوع. ما أقربها إلى القياس بالمحال. وما أبعدها عن الوهم بالخيال. أيظن الفصل يغني عن العرض

(١) يصبو: يميل إلى الصِّبا وجَهْلِهِ وطَيْشِه.
(٢) البينُ: البُعْدُ: والفراق.
(٣) لَطَّخَ الشيءَ: وسَّخَهُ أو دَنَّسهُ. العُقار: الخمر الشديدة التي تعقر شاربها.

العام. أو يخال الجنس يعين الحد على التمام. فقلت لما قصدتْ الخلو بالجمع. وساوت بين الشرط والمنع:

دَعـيـنـي لا أبـا لـكِ إنّ قَـصْـدي ... إلـى بـابِ الـكَـريـمِ هـو الـفَـخـارُ
أيـرضَـى بـالـهـوانِ فـؤادُ حُـرٍّ ... يَـعـزُّ عـلـيـه لِـلـضَّـيـمِ اصْـطِـبـارُ
وَمـا دارُ الأحـبـةِ لـي بـدارٍ ... إذا مـا نـالـنـي فـيـهـا احـتـقـارُ
فـبـالأحـبـابِ أحـبـابٌ وداري ... هـي الـدنـيـا وبـالـجـيـرانِ جـارُ
وكـلّ الـنـاسِ إِخْـوَانـي وَتِـربـي ... لـهـمْ تِـرْبٌ وكـلّ الأرضِ دارُ[١]

إذا اتحدت معانيهم في الظاهر. وزالت الغرابة بخلوص التنافر. وكان الأب آدم والأم حواء. فقد اقتضى الحال تطابق الأهواء. بَعد عن جبلتهم من شرَّفه خالقه بالمجاز إلى الحقيقة العقلية. وأنشأ اختراعه من أسلوب تعذر فيه الإخبار عنه بالصفات البشرية. فلذا لذتُ به من نوائب الزمن. وقلت مصرحاً باستنكار ما جَنتْهُ المحن:

مَـعَـاذَ الـمَـجْـدِ والـعـلـيـاءِ أَنّـي ... أُضـامُ ولـي إلـى الـمَـهْـدي ائـتـمـارُ[٢]
مَـنـيـع الـجـارِ لـو يُـشـكَـى هـلالٌ ... عـلـيـه الـنـقـصُ فـارقَـهُ الـسّـرارُ[٣]
وَلـو وافـاه لـيـلٌ خـائـفـاً مـن ... هُـجـومِ الـصّـبـحِ مـا طـلـعَ الـنّـهـارُ
مَـلـيـكٌ هَـذَّب الأيـامَ حـتَّـى ... خَـشَـتْ سَـطـواتِهِ الـصُّـمُّ الـحِـجـارُ
وَطَـيّـر فـي بـقـاعِ الأرضِ قَـسْـراً ... عـداه فَـكُـلُّ قـلـبٍ مُـسـتـطـارُ
وَلـوْلَا سَـطـوةٌ لِـلَّـيْـثِ تُـخْـشَـى ... لَـزَاحَـمـهُ عـلـى الـغـابِ الـحِـمـارُ
كَـريـمٌ لا يَـشُـوبُ عَـطـاهُ مَـنٌّ ... حَـلـيـمٌ لا يـخـفُّ لـهُ وَقـارُ[٤]
إذا لَـمَـسـتْ يـداهُ لِـقَـصْـدِ جُـودٍ ... يَـبِـيـسَ الـعـودِ عـاد لـه اخْـضِـرارُ
وإنْ لـمـسـتْ يـداه بـيـومِ فَـتـكٍ ... نِـصـالَ الـسـيـفِ كـان لـه احـمـرارُ
فَـفـي يُـمـنـاهُ لِـلـعـافـيـنَ يُـمْـنٌ ... وَفـي يُـسـراهُ لِـلـسَّـاري يَـسـارُ[٥]
يـهـونُ عـلـيـه فـي كَـسْـبِ الـمـعـالـي ... وفي أخذ العِدَى الذهبُ النّضارُ[٦]
بـه اغْـتُـفِـرتْ جِـنـايـاتُ الـلـيـالـي ... وَجـادَ بِـوَعْـدِه الـفـلـكُ الـمـدارُ

(١) التِّرْبُ: المثيل في السِّنّ.
(٢) أُضامُ: أُظلمُ.
(٣) السِّرارُ: آخر ليلة من الشهر؛ يقال: استسرّ القمر: خفي ليلة السِّرار.
(٤) يشوبُ: يمزج. المَنُّ: الإساءة والتكدير. الحليم: العاقل الرزين.
(٥) العافون: طالبو المعروف. الساري: السائر في الليل.
(٦) الذهب النضار: الخالص.

يُضمِّنُ صَدْرَهُ حِلْماً وعِلْماً غَزيراً لا تُقاسُ به البحارُ
فَلو كَشفَ الغطا ما ازددتَ عِلماً على عِلْمٍ هو العَلَمُ المنارُ
فِداؤكَ عالمٌ لم يبقَ فيهمْ بِجَدْواك احتياجٌ وافتقارُ[١]

كرم بنانه المجموع مُغنٍ عن البيان. وكمال جوده المفرد غنيٌّ عن التشبيه بالإمكان. فكيف لا أقوم بشكر برّه وإنعامه. وإن أطلتُ الثناء فكيف لي أن أمدحه بعشر معشار إكرامه. فهو الذي ربّاني صغيراً. وغذاني بلبان إنعامه كبيراً (له أياد عليَّ سابقة. أعد منها ولا أعددها) لذا مددتُ إليه كفّ الاعتذار. وقلت مُصَرِّحاً بما أشكو من الزمن الجوَّار:

أميرَ المؤمنين فداكَ عبدٌ أناختْ عنده النُّوبُ الكبارُ[٢]
رَماهُ الدهرُ محتالاً بقوسٍ منَ الحدثانِ أسهمُه البَوارُ[٣]
أيَنْسِفُني الزمانُ ولي انتماءٌ إليكَ ولي بِخدمتكَ انْتِصارُ[٤]
إذا ما كنتَ والأيامُ عوناً عليَّ وجَوْرها فَلكَ الخيارُ
فإمَّا أن أقيمَ بِضَنْكِ عَيْشٍ وَثَوْبايَ المذلةُ والصّغارُ[٥]
وإمّا أن أقيمَ بثوبِ عِزٍّ خَلَتْ عنه المَضرَّةُ والضِّرارُ[٦]

عبد رفعته على يقين الابتداء. وخفضته على توهم الاعتداء. رقّ له الحاسد ورثى له الشامت. وكادت أن تتحرك رحمةً له النجوم الثوابت. نصبت بربعه خيام المصائب. وركضت في ميدانه خيول النوائب. وهل يفزع الخائف إلى غير حضرتك. أو يعزُّ الذليل بغير سدّتك.

وأنتَ أحقُّ من يَرْعَى ذماماً ومنْ تُحْمَى بِحَضْرتهِ الذّمارُ[٧]
نَعمْ منْ ذا الذي ما حَازَ نَقْصاً ومنْ أغناهُ عَنْ قَدَرٍ حِذارُ
أَليسَ المَرْءُ من ماءٍ وطينٍ وَقدْ نَقَصَ الهلالُ المُسْتَنارُ
إذا ما لم تَخُنْكَ يدٌ وعَيْنٌ وَلا قلبٌ فقد خَفَّ القِطارُ

---

(١) الجدوى: العطية.
(٢) أناخت: بركت. النُّوَبُ: المصائب.
(٣) الحَدَثانُ: الحوادث والمصائب. البوار: الهلاك، أو العطب والفساد.
(٤) نَسَفَهُ الزمان: اقتلعه من أصله.
(٥) الضَّنْكُ: الضيقُ والشِّدَّة. الصَّغَارُ؛ الذُّلُّ والهوان.
(٦) الضِّرارُ: الضّرُّ: الإساءة والأذى.
(٧) الذِّمامُ: العهود. الذِّمارُ: ما ينبغي حياطته والذود عنه كالأهلِ والعِرْضِ.

كيف تخونه يده أو قلبه. من مُلئ من قَرْنِهِ إلى قدمه من حبّه. تبت يدٌ مُدَّتْ إلى ما لا يشتهيه. وعَمِيتْ عينٌ لحظتْ ما لا يَرتضيه. وخَرِسَتْ لسانٌ فاهتْ بغير المدحِ فيه:

أميرَ المؤمنين فأيّ ذنبٍ ... أتيتَ وكانَ لي فيه اخْتِيارُ
لَقد كَثَّرْتَ حُسّادي فَجازوا ... على حُسّادِ آدمَ حينَ جَاروا
وَقَدْ أُلبسْتُ مِنْ عَلْياكَ فَخْراً ... ومَجْداً لا يُباعُ ولا يُعارُ
وَلم يُكْسبني الإقلالُ ذُلّاً ... وَأَنّى ذا وَجُودُكَ لي عَقارُ[١]

ما أَكأبني غير سخطك. ولا أهمني سوى عَتْبِك. وإنَّ العفو ثمرة الذنوب والخطا. وكمال الإحسان التجاوز عن الاعتدا.

أميرَ المؤمنين أطلْتَ سُخطاً ... وَمِثْلي مَنْ يُقالُ له العِثَارُ[٢]
لِسُخطِكَ لا أقيمُ بأرضِ عزٍّ ... وإنْ عَزَّتْ فَلي عَنْها نِفارُ[٣]
وإنّي إنْ نَأَيْتُ فَغَيْرُ ناءٍ ... بِوُدّكَ وَهْوَلي أَبداً شِعَارُ[٤]
وَما سَافرتُ في الآفاقِ إلّا ... وَمِنْ جَدْواكَ عَيْشي والدّثارُ[٥]
مُقيمُ الظنِّ عِنْدكَ والأماني ... وإنْ شَطَّتْ بِي النوقُ العِشَارُ[٦]
مَقامُكَ كَعْبتَي وحِمَاكَ رُكْني ... وَلي حَجٌّ بِبابكَ وَاعْتِمارُ
أطوفُ به وَأَرْمي كلَّ يومٍ ... جِمارَ الهمِّ إنْ رُمِي الجمارُ
أميرَ المؤمنين إليكَ وافتْ ... تهادَى والمديحُ لها شَنارُ[٧]
مُودِّعة وما التّوديعُ فيها ... قِلاءٌ أو مَلالٌ أو نِفارُ[٨]
بِرُغْمِ المَجْدِ أنْ يَرْضَى فِراقٌ ... لِحَضْرتِكَ العليَّةِ أو سِفارُ[٩]

---

(١) العَقَارُ: كلّ ملكٍ ثابت له أصل كالأرض والدار.
(٢) أقال عثرته: تجاوز عن زلله وذنبه.
(٣) النِّفارُ: الهجرة أو الحِران؛ ويقال: نفر من المكان: تركه إلى غيره.
(٤) نأى فلان: ابتعد.
(٥) جدواك: عطيتك. الدِّثارُ: الثوب الذي يكون فوق الشعار، والدِّثارُ: الغطاء.
(٦) شَطَّتْ: بعدت. النوق العِشَارُ: التي مضى على حمل الواحدة منها عشرة أشهر، والواحدة: عُشَرَاء؛ قال تعالى: ﴿**وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ**﴾ [التكوير: ٤].
(٧) الشَّنارُ: الأمر المشهور بالشنعة والقبح.
(٨) القِلاءُ: البُغْضُ.
(٩) السِّفارُ: الارتحال، السَّفر.

ودونَ بـعـادِ يـومٍ مِـنـكَ عِـنْـدي يـهـونُ الـصّـابُ أكـلاً والـمَـرارُ[1]
وَهـذا إن تَـعـذَّر مَـدّ كـفٍّ لِـتَـوديـعـي وداعٌ واخْـتِـصـارُ
وَدُمْ لـلـمـلـكِ مـا هَـبَّـتْ شِـمـالٌ ومـا غـنَّـى عـلـى الـغُـصْـنِ الـهَـزارُ

انظر ما اشتملت عليه هذه القطعة من الانسجام والسهولة والسلامة من الحشو والتكلف مع ما في ضمن النثر من التوجيه بالعلوم، فشرع بالتوجيه بعلم اصطلاح الحديث ثم النحو ثم الصرف ثم المنطق ثم المعاني والبيان، ومع هذا فَسِنُّه إذ ذاك خمسٌ وعشرون سنة، كما يفيده قوله:

أبـعـدَ الـخـمـسِ والـعـشـريـنَ يَـصْـبـو لَـعَـمْـرُ أبـيـكَ هـذا الاغْـتِـرارُ

والقطعة الأولى المشتملة على التواريخ هو أنشأها أيضاً قبل أن يستكمل ثلاثين من عمره. وله أشعار في آخر عمره أعلى من هذه القطعة المذكورة سابقاً. وقد أنشدني من ذلك كثيراً، وما أحسن قوله في بعض قصائده: [من الخفيف]

وإذا رَامـتِ الـذُبـابـةُ لِـلـشَّـمْـ ـسِ غِـطـاءً مـدَّتْ عَـلـيْـهـا جـنـاحَـا

واستمر على اتصاله بالإمام المهدي، ثم بمولانا خليفة العصر، حتى توفاه اللَّه تعالى في يوم الثلاثاء سابع شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف قبل تحرير هذه الترجمة بنحو نصف سنة، فرحمه اللَّه وتجاوز عنه، فلقد كان من محاسن العصر ومفاخر الدهر، وله أولاد أكبرهم (أحمد) وهو الذي قام مقامه، وهو ماشٍ على طريقته في الكمالات. له النظم الفائق والنثر الرائق والخط الحسن والعرفان التام. وتلوه في العمر (حسين) وقد تقدَّمت ترجمته ثم (إسْمَاعيل)، و(مُحمَّد) و(قَاسِم)، وهؤلاء كلّ واحدٍ منهم على حداثة أسنانهم له شغلة بالعلم والبلاغة والنظم والنثر والكمال في فنون الأدب.

(٣١٢)

(عَليّ بن صَالح بن مُحمَّد بن أبي الرِّجال الصَّنعاني)[2]

الشاعر المجيد. من شعره: [من الكامل]

وَلَـقَـدْ أَقـولُ وَقـدْ تَـغـنَّـتْ فـي الـحِـمَـى وَرْقـاءُ ذاتُ صَـبـابـةٍ وَوُلـوعِ[3]

(١) الصاب، والمرار: نبتان شديدا المرارة.
(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ١١٠.
(٣) الورقاء: الحمامة. الصبابة: رقة الشوق وحرارته. الولوع: شدَّة التعلُّق والكلف.